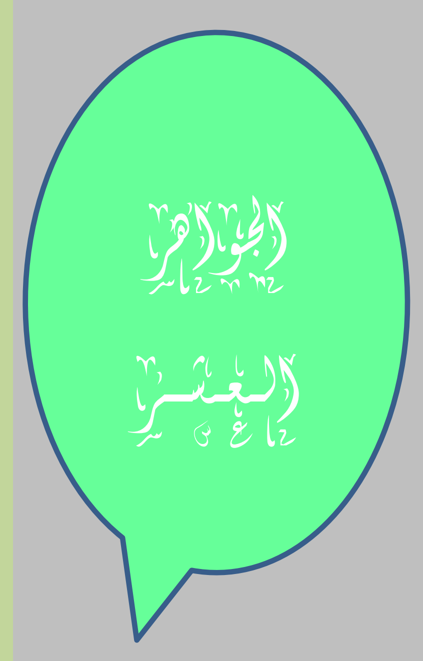


٤

اسعد واسود

بقلم

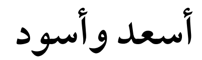
جمال شاهين

المكتبة الخاصة

أسعد واسود

النشر الاول ١٩٩٧

النشر الاخير ٢٠١٨



أسعد وأسود

أسعد وأسود أخوان يعيشان في المدينة ، وترك لهما والدهما أموالا لا تأكلها النيران ، ولهما زوجتان كأنهما ضرتان ، وبعد انتهاء مراسم الدفن بأيام ، ترك أسود البيت الكبير ، وقد اشترى قصرا كبيرا ، فرحل إليه هو وزوجته وأولاده ، وبعده بوقت يسير فعل أسعد مثله ترك بيت العائلة واشترى هو الآخر قصرا كبيرا وجميلا ، ثم رحل إليه ، ثم باعا قصر العائلة ، واقتسما ثمنه ثم اختلفا على سكن أمهما ، فكل منهما أصر على بقائها عنده ، ثم اتفقا على أن تمكث شهرا عند أسود وشهرا عند أسعد ، وهكذا دواليك ، ولم يعد يرى الأخوان بعضهما بعضا إلا قليلا .

وذهبت الأيام تلو الأيام حتى أعلن أسود إفلاسه ، وخسر تجارته ، وضاقت به الأرض بما رحبت ، ثم اضطر لبيع قصره وشراء منزل صغير ، ولم يعد يسأل عن أمه ، وذات ليلة جلس يتحدث مع زوجته بكل حسرة وأسف : ايه يا نورا !.. أصبحنا لا نملك سوى هذا البيت الصغير لقد ذهبت الأموال التي ورثناها عن أبينا.. لقد فقدت عقلي وما زال ولدينا صغيرين .

قالت نورا : استلف من أخيك أسعد .

أجاب : لا أستطيع قبل سنين طلب مني عشرة آلاف درهم فاعتذرت له


قالت : ولماذا طلبها ؟!

رد الزوج عليها قائلا : لقد كان ينتظر قافلة ولكنها تأخرت كثيرا .. وكانت حملة خارجة من المدينة فأراد أن يرسل معها عددا من الجمال فطلبني بعشر آلاف درهم فتأسفت له للأحوال التي كانت تعصف بي .

عادت الزوجة للاستفسار عن مصير القافلة المتأخرة ، فقال : لما رفضت جهز عددا أقل من الجمال وأرسل معهم ابنه السعيد سالم ثم عادت القافلة المتأخرة وغنم كثيرا منها كما أخبرني صاحبه كريم .

قالت الزوجه بهلع : الآن أم سالم تتشفى فينا ، لقد كانت دائما تقول لي إن زوجك أحمق لا يحسن العمل ولا التجارة ؛ لولا أسعد ما كسبوا شيئا ولا درهما واحدا ، وأرى أن الأيام أثبتّ صدق كلامها يا أحمق .



فغضب الزوج وأخذ يشتم ويقبح زوجته ومشورتها وأخاه وزوجة أخيه ، فتركته يصيح ويندب حظه ثم سمعته يقول وقد أخذ منه الغضب أشده : أنت سبب خراب بيتي .. ألم أقل مرارا دعينا نبقى شركاء مع أسعد نبقى أسرة واحدة فأبيت وأحببت الاستقلال

وتحججت بالأولاد وكرهك لزوج أخي حتى كرهتينا بأمنا وأخينا وأولاده .

ولما ازداد البؤس به دخل يوما على زوجته صباحا ، وأعلمها برغبته بالسفر والرحيل والهجرة عن هذه المدينة إلى أرض الله الواسعة ، وأنه لم يعد يطيق الحياة في هذه البلدة ، فأغلقت الباب في وجهه وقالت : "سفرة بلا رجعة "

فخرج حزينا هائما على وجهه ، ولما علم أسعد بهرب أخيه من البلاد ، زار زوج أخيه ودفع لها ما تيسر من المال ، فرفضته أم جواد ورمته في وجهه ، فتألم هو الآخر فحاول أن يعطيه لجواد الفتى ذي الاثني عشر ربيعا ، فرفضه أمام تهديد أمه ، ودفعه للبنت الكبرى التي تكبر جواد بسنوات ، فرفضت هي الأخرى ، ورفض الابن الأصغر وحذرته الأم أن يأتي إليهم مرة أخرى وقالت بحدة وتكبر : إياك ثم إياك أن تأتى هذا البيت مرة ثانية .. فنحن لسنا بحاجة إلى عطفك أو أموالك اغرب عنا وعن حياتنا .

عاد أسعد لبيته كاسف البال ، وروى لأسرته ما لقي من زوجة أخيه ، فقالت زوجته : إنها امرأة متعجرفة متكبرة .. أرسل لهم المال بطريق أخرى مع أحد الأصدقاء ..أصدقاء أخيك على أنه دين في رقبته .

قال أسعد : أحسنت يا أم سالم .. لو أتاني أسود لأحسنت استقباله ، فهذا المال مال الله ، ونحن مستخلفون فيه .. لقد نصحت أخي كثيرا أن نبقى يدا واحدة شركاء نعمل سوية .. سامحها الله زوجة أخي .. هي السبب .. هي السبب !

قالت أم سالم : إنها تبغضني بشدة يا أسعد ! ولا تطيق الأرض التي أمشي أو أجلس عليها .. وهي تحقد عليك أيضا فقلبها أسود حقود .

قال متأففا : دعيني من قلبها وحبها وبغضنا هذه مشاعر خاصة بها ، المهم أن لا يصل كرهها للعمل ضدنا ، وأفكر الآن بالبحث عن أخي أسود .

كان أسعد يرسل الأموال خفية إلى أولاد أخيه بطريقة لا يشعرون أنها منه ، ومضى على هذا الحال صيف وشتاء ، ولم يأتهم خبر صحيح طيب عن أسود ، فترجت الأم ابنها بالبحث عنه وقالت : يا ولدي الطيب أسود أخوك ، وهو رجل مسكين وضعيف الإرادة ، فكل ما أصابه هو من تدبير زوجته نورا .

وكان سالم الحفيد يسمع كلام جدته ورجاءها من أبيه التحري عن عمه، فأخذته الحمية والنخوة فقال : أنا يا أبي سأدور في المدن والقرى ، ولن أرجع إلا به فهو عمنا مهما فعل بنا .. فأتحفوني بدعائكم وأرجو أن أدخل

السرور على قلوبكم .

فقال الأب : لا أدري ما أقول لك يا ولدي ! ما خرجت من بلادنا قافلة الا أوصيتهم بالسؤال عنه ، وما أقبلت قافلة إلا ذهبت إليها لأسأل عنه فهو أخي وابن أمي وأبي ، فافعل ما تراه مناسبا يا سالم ، أنت رجل ويعتمد عليك فعلى بركة الله سر .. واذهب إلى مدينة السلام ، فهو كان يحب هذه البلدة منذ كنا صغارا نرافق التجار ، فإذا وجدته هناك وأبى أن يأتي معك فعد وأنا أسير إليه بنفسي .

تجهز سالم جهازا خفيفا ، وركب فرسا ، وانطلق في الدنيا يتعسس ويتحسس عن عمه الهارب أسود ، ولقد كان كلما دخل مدينه أو قرية في طريقه لمدينة السلام يسأل ويتعسس عن عمه حتى وصل إلى مدينة السلام بسلام ، وكان يعرفها جيدا ، فقد دخلها تاجرا عدة مرات ، وله فيها أصحاب ومعارف ، فنزل على أحدهم ، وأعلمه التاجر أن أسود جاء المدينة فعلا واستلف منه بعض المال ، ومكث ردحا يسيرا من الزمن ثم اختفى من غير أن يطلع أحد على جهة سيره ، وإن خرج من المدينة فالأرجح أنه مشى نحو مدينة " الربيع الكبير " ، فهي مدينة تجارية كبيرة لاتصالها بالبحر فترد على سواحلها السفن والمراكب من بلاد شتى أمضى سالم شهرا في بلاد السلام يبحث عن عمه ويسأل هنا وهناك ، ثم

ودع الأصحاب وسافر إلى مدينة " الربيع الكبير " ، وبالفعل وصلها ووجد عمه يسكن في بيت عند أحد أصدقائهم القدامى في هذه المدينة ، وسر أسود بلقاء ابن أخيه ، وقال الشاب سالم لعمه : يا عماه .. نحن أهل وأقارب وكما يقولون في الأمثال "الدم لا يصير ماء " لماذا لم تلجأ لأخيك ابن أمك وأبيك قبل أن تفارق الديار والأهل والأصحاب ؟ .. أمك تريد أن تراك قبل أن ترحل عن هذه الدنيا .



قال أسود : يا ابن أخي أنا لم أهرب منكم .. لقد هربت من ديوني .. هربت من زوجتي .

قال سالم : لقد قام والدي من غير علم أسرتك بتسديد كل ديونك وطلب من دائنيك بعدم الحديث بذلك ، وأن يتظاهروا بأن الديون ما زالت لهم عليك .. والهروب من الزوجة لا يحل مشاكلك .. والأولاد بحاجة إليك .. فهم يريدونك .

قال أسود : لا احلم بالعودة قبل أن تكثر أموالي ويعود لي جاهي بين

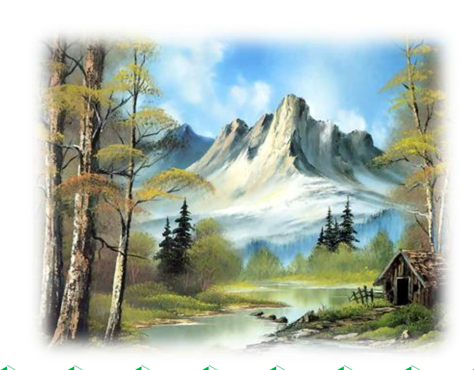
التجار ، وأقدم لك شكري الجزيل يا ابن أخي ، وأشكر أباك أسعد كبير الشكر وسلم عليه وعلى أمي العزيزة .

واجتهد سالم بكل الوسائل المناسبة أن يقنع عمه بالعودة معه ؛ ولكنه أبى وأصر على الرفض ، وأعلم سالما أنه مسافرا لمدينة بعيدة ، فترك سالم جرابا من المال فيه خمسة آلاف درهم خفيه ، وخرج وقد ودع عمه وداعا حارا ، فأمضى ليلة أخرى بالخان ، ولما تأكد من سفر عمه قفل عائدا لوطنه ، وروى للأسرة تفاصيل ما جرى له وأنه ترك بين يدي عمه خمسة آلاف درهم ، ففكر الأب باللحاق به ، فقال سالم : عمي عنيد فقد حلف أن لا يرجع قبل أن يصبح ثريا أو يموت في ديار الغربة .

فدعت الأم الشيخة لابنها بالسلامة والتوفيق .

وكان أسعد يحاول بكل حيلة ووسيلة جذب أولاد أخيه نحو أبنائه ، ولكن أمهم كانت له بالمرصاد ، ومنعت أي اتصال ، وصدته بكل قوة وعناد ، وحاول سالم ولكنه أيضا لم يوفق ، وذهبت أم سالم بنفسها لبيت أم جواد ، وأظهرت الود والحب ولكنها طردت شر طردة مما أغضبها ودفعها لكشف سر الأموال التي تصلهم بين الحين والآخر بطرق شتى ، فلم تصدق نورا ادعاء أم سالم ؛ ولكنها بعد أن راجعت هي والأسرة الأمور الماضية ، أدركت الحقيقة ، فأسود خرج من البلد وهو لا يملك

نقيرا ، وكان الدائنون في أول الأمر يترددون على البيت ثم خفت أقدامهم ، فلابد أن أسعد كفهم عنهم وسدد دين أخيه ، فعظم عليها الأمر والقهر وأصابها وسواس شديد فمرضت مرضا شديدا ألزمها الفراش ، مما دفع جواد لزيارة عمه أسعد ، وطلب العون منه ، ففرح العم بمجيء جواد وأحسن إليه وكساه ثوبا جديدا وأهداه طعاما وثيابا للأسرة ، وأرسل معه طبيبا ليعالج أمه ، ولما خرجت نورا من مرضها وعادت للدنيا من جديد حثها الأولاد على نسيان الماضي والبدء من جديد ، فأرسلت وراء أسعد وأبدت له أسفها الشديد لما أبدته معه في السنوات الماضية ، ففرح أسعد بكلامها وأعلن لها أنه لا يُكن لها في قلبه أي كره ولا أي حقد ، وتصالحت مع أم سالم ، ووعدها أسعد بتزويج جواد من إحدى بناته عندما يكبر ويصبح في سن تسمح له بالزواج ، ثم اشترى لهم بيتا كبيرا وواسعا ، وفعل ما يستطيع أن يفعله أخ مع أخيه الغائب ، وهذا ما كان من أمر هولاء القوم ونعود إلى السيد الهارب أسود





العودة

أما أسود الهارب من مدينته فإنه لما التقى بابن أخيه ، وأبى أن يرجع معه فإنه غادر مدينة الربيع الكبير ، وتنقل في عدة مدائن ثم استقر به المقام في بلدة كبيرة ، وأخذ متجرا صغيرا فيها من أموال أخيه أسعد التي تركها سالم دون علمه ، ففي قرارة نفسه شكر أخاه على فعلته ، وبعد حين من الزمن تزوج من امرأة أرملة غنية في بلادها ، فجمع ماله إلى مالها وكبرت أعماله ويسر الله أمره ، واشتغل بتجارة الحرير الصيني ، فازدهر العمل عنده وكان يناديه الأصحاب بأبي شروب ، وكان لزوجته فتاة قد بلغت سن الرشد ، فخطبها ابن عم لها ثم اقترن بها بعد حين قصير ، وما كاد يمضي على أسود ما يزيد عن خمس عشرة سنة حتى وجد نفسه من أثرياء المدينة وتجارها العظام وذات يوم قالت له زوجته : يا أبا شروب ألم تشتاق لأهلك وأولادك ؟!

فسالت على خديه دمعات حارة وقال : إنني أفكر بهم ، وما جرى لهم خلال هذه السنوات الماضيات .. لقد تركتهم وأنا غارق في الديون والمطالب .. آه !! لقد مرت عليّ أيام يئست فيها من الحياة ؛ ولكن رحمة الله وسعت كل شيء يا أم شمس .. لقد تبعني ابن أخي وحاول العودة بي ، ولما رفضت ترك بين يدي خمسة آلاف درهم ، فهذه الأموال منها



ومن أموالك ، لقد ابتليت بزوجة حسود وحقود ، وكنا نضع أموالنا في أعمال خاسرة فلم نوفق كما وفقنا ها هنا .

قالت : لا أعتقد أن أخاك سينساهم في غيابك كل هذا الزمن .

رد قائلا ومفتخرا : بالتأكيد فأخي أسعد طيب النفس مع أنه احتاجني مرة ـ بعد أن قسمنا ميراثنا الكبير عن والدنا ـ في قرض إلى أجل معلوم فرفضت ، ولما احتجت لم تطاوعني نفسي بالأخذ منه ، فاستلفت من هنا وهناك حتى عجزت عن السداد ، وبعت القصر الذي اشتريته وأيضا لم أنجح في التجارة والقيام ثانية ، فتركت البلدة ، وزوجتي لم تحاول الاعتراض ولو مجاملة على رحيلي بل شتمتني وطردتني ، إنها متكبرة ومتعجرفة ، وكانت تكره زوجة أخي بشدة وتغار منها كأنها ضرة لها .

فضحكت أم شمس وقالت : لقد أبدلك الله خيرا منها .

فقال أسود : أنت سيدة طيبة ونشيطة ولا يمكن نسيان فضلك .

فقالت بعزم : ألا تريد وتحب أن ترى أولادك فلابد أنهم أصبحوا رجالا وتزوجوا ؟؟

قال وهو ساهم النظر : بلى أحب ؛ ولكن ماذا أقول لهم بعد كل هذه الأحوال من الزمن ؟! .. هل سيعرفونني وينادونني بأبيهم ؟! وقد تركتهم في فقر مدقع وليس هذا فقط بل بدائنين كثر لا حول ولا قوة إلا

بالعلي الكبير .

قالت الزوجة : فكر يا سيدي بهم واستخر الله في شأنك ، فلقد علمت من غلماني أن تجارا قدموا من مدينتكم أو مدينة قريبة منها وهم ينزلون في خان الهمامي شرق المدينة .

فقال الأب الهارب : إنك يا أم شمس تهتمين بأمري كثيرا هذه الأيام !

قالت : أرى الألم والحزن الدائم في كلامك، وأنك تذكر جوادا وسوادا وريام كثيرا بل تهتف بأسمائهم في نومك ، ولم ترزق بمولود مني يسليك عن أولادك..فهذا قدر الله يا أبا جواد .

تنهد أسود بعمق ولزم الصمت ، كأنه ذهب لبلده يتخيل نفسه جالسا مع الأولاد ، ثم همس محدثا نفسه : مال ! .. مال !.. من غير ذرية ..ما الفائدة منه ؟.. لا تكتمل الزينة الدنيوية إلا بالأولاد .. يا إلهي !

زار أبو شروب الخان المذكور ـ خان الهمامي ـ بعد أيام ، فوجد أن القوم قد رحلوا فرجع للبيت خائبا مطلعا زوجته بقراره الحاسم ، وهو الذهاب لمدينته ومسقط رأسه شوقا لأولاده ، فجهز قافلة كبيرة وانطلق مع تجارة قاصدة تلك المدن والبلاد ، وكان هدف القافلة مدينة السلام فوصلوا إليها بسلام وأمان ، واستقبل تجار المدينة القافلة القادمة ، وجرى تبادل السلع والأشياء من التوابل والبخور والثياب والسيوف

والمدى ، وفكر أسود بالانفصال والاتجاه إلى بلده والسؤال عن الأهل والأحبة ولقائهم إذا ما زالوا أحياء ، فتفقد أمواله ، فاكتشف أن كثيرا منها مسروق ، فأخبر رئيس الحملة بفقد عشرين ألف درهم من صندوقه ، فاجتمع رئيس الحملة بكبار تجار الحملة وأسر لهم بالأمر ، فاتفقوا أن يتصلوا برجال الشرطة ليقوموا بالبحث عنها ، فأخبر الرئيس أبا شروب بالاقتراح ،فانطلقوا إلى والي المدينة واطلعوه على جلية الحادث ، فانزعج الوالي لما حدث لهؤلاء التجار الغرباء الضيوف ، فاستدعى أحد رجاله الموسومين بالذكاء والحيلة والفطنة وقص عليه القصة ، فطلب الشاب الفطن من رئيس الحملة أن ينقله للخان الذي ينزلون فيه ليرى رجال وخدم القافلة ، فالتقى الشاب بصاحب الخان وصارحه باختفاء عشرين ألف درهم من صندوق التاجر أسود أبي شروب ، فأقسم صاحب الخان أغلظ الأيمان أنه لا يعلم عنها شيئا ، فقال الشاب الشرطي : يا صاحب الخان المال سرق في خانك ، ولابد أن أحدهم دخل غرفة الرجل .. فاسأل خدمك وغلمانك وأنا سوف أتحدث مع رجال القافلة وأسمع منهم ، ثم أعود في الليل وأنت تعلم أن الأمر إذا رفع للأمير فسيصيبك ضرر شديد فهذا حادث سلب كبير .

فرد صاحب الخان وكله خوف وقلق : سأنفذ أمرك وأبحث بين غلماني ،

ويا ويل من وجدت المال لديه سأسلمه للوالي لينال جزاءه وفاقا .

فقال الشرطي لصاحب الحملة ورئيسها : يا زعيم الحملة اسمح لي بمقابلة رجال حملتك .

فتحدث مع كل رجال الحملة فردا فردا ثم قال لصاحب المال : اتبعني لبيت الشرطة أيها السيد الكريم .



فبعد العصر ركب التاجر أسود بغلته وأخذ غلامه بين يديه وسار إلى بيت الشرطة ، وهناك وجد الشاب وسيده الوالي في انتظاره فبعد الترحيب ، قال الوالي : يا أيها الرجل هل تتهم أحدا من الناس ؟

فقال أسود بحزن وأسف : لا أيها السادة لا أتهم أحدا بعينه ، والله لولا أنني مسافر للمدينة التي ولدت فيها والتي ابتعدت عنها منذ زمن بعيد ، وقد تركت فيها عيالا فقراء لما بحثت عن المال المفقود ؛ ولكنني بحاجة أن أذهب هناك بمال كثير ، فلي أهل فيها فلابد أنهم بحاجة لمال بعد كل هذه السنوات الطوال .. فهل أصل إليهم بمال ضئيل ؟؟

فرق قلب الوالي ومساعده الشرطي لكلام الرجل المؤلم ثم قال الوالي : حسنا أيها الرجل الكريم سوف تسافر بمشيئة الله تعالى إلى المدينة بمالك كله ؛ ولكن هذه الليلة لا نريدك أن تنام في غرفتك في الخان ، سينام مكانك هذا الشاب فعليك أن تخلع ملابسك ليلبسها ، وعليك أن تحل عندنا ضيفا أنت وغلامك ، فنحن نتوقع أن يعيد السارق الليلة ما سرق فقد يكون اللص من أصحاب الحملة ، وقد يكون من أصحاب الخان ، فتهديدنا الشديد وصل للجميع فلابد أن يحاول اللص إعادة المال قبل انكشاف وافتضاح أمره تحت سياط الجلاد .. فهذه خطتنا السهلة إذا كان اللص قد سمع التهديد .

فخلع أسود ثيابه ولبسها الشاب ، ولبس ثيابا قدمها له الوالي ونقل لبيت يقضي فيه ليلته بصحبة الغلام ، وفي الليل تنكر الشرطي بثياب أسود وركب بغلته ، وقبل نصف الليل دخل الخان بعد أن أعطى البغلة لأحد خدم الخان ، وتسلل إلى غرفته غرفة أسود ، وتظاهر بالنوم وقبل الفجر بقليل شعر الشرطي المتظاهر بالنوم بفتح الباب ببطء وهدوء ، ودخل رجل ملثم واقترب من صندوق أسود ، وأخرج من صدره عدة أكياس وضعها في الصندوق بكل هدوء ، وقبل أن يقضي حاجته كان الشرطي ينهض ويشهر سيفه على اللص وقال بهدوء : حذار أن تتحرك .

ولكن اللص تحرك بسرعة وحاول طعن الشرطي بخنجره ، ولكنه حاد عنها ونخزه برأس السيف وقال : أنا لست صاحب المال .. أنا الشرطي . ثم رفسه بساقه فوقع اللص أرضا فوضع السيف على عنقه وقال: ارم خنجرك يا مجرم .

ونخزه في عنقه مرة أخرى ثم أخرج حبلا وقيده ، وأغلق الباب ثانية وعاد للنوم ، ولما أصبح الصباح صلى الفجر ، ثم قاده لصاحب الخان وقال له بقوة : أتعرفه ؟ .. هل يعمل معك هذا الشاب ؟

فأجاب صاحب الخان وكله وجل ووهن وحيرة : نعم .. ولماذا أنت موثقه ؟!

فقال الشرطي : ألم تعرفني ؟! .. أنا لست أبا شروب إنها هذه ثيابه .. أنا رجل الوالي .. هذا هو اللص يا صاحب الخان .. هذا السارق .. لقد سمع تهديدنا أمس فوقع في قلبه الرعب كأي مجرم من المجرمين ، فأراد أن يضع المال في صندوقه خشية أن يعترف تحت سوط الجلاد .. ولو حاول الهرب بعد التهديد لانكشف أمره ، وإذا فتشنا الخان قد نقع على المال المخبأ ولا نعرف اللص ، فعملنا له هذا الكمين فوقع في الفخ ، ولو كان أبو شروب في الحجرة وشعر به لأرداه قتيلا ، فلقد حاول طعني ظانا أني صاحب المال .. والآن الحق بنا يا صاحب الخان على بيت

الشرطة .

وقبل أن يحضر الوالي إلى ديوانه وجد الشرطي واللص في انتظاره فقال : الحمد لله الذي مكننا من الوصول للص بوقت يسير .. لقد نجح الكمين يا أسد الدين.

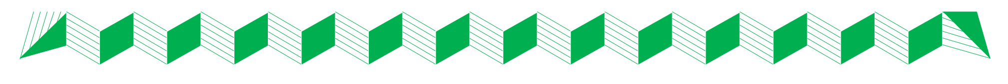
فقال أسد الدين والفرح يغمره : نعم يا سيدي الوالي .. لقد كان من الراجح لديّ أن اللص أو السارق قريب من الخان ؛ فإما من غلمان صاحب الخان أو رجال القافلة ، ولو كان السارق بارعا أو من الخارج ، فلماذا لم يأخذ كل ما في الصندوق ؟! هو ظن أنه بأخذه عددا من الأكياس بأن صاحبها لا يشعر بفقدها وهو لا يريده أن يكتشف أن فلوسه ناقصة .

قال الوالي : أحسنت يا أسد الدين ! وصاحب الخان أله يد في القضية ؟

فصاح صاحب الخان : أبدا يا سيدنا الوالي .. إنما هو غلام يعمل عندنا.

فقال الوالي : حسنا اذهب بهم إلى القاضي لينظر في أمرهم .

فقال أسد الدين : أمرك مولانا الوالي ؛ ولكن اسمح لي بالحديث مع التاجر أبي شروب المسافر إلى المدينة التي ولد فيها.. فأنت ضيفي اليوم يا أبا شروب ، فأنا لي أقارب في تلك البلدة ، فسأحملك هدية لهم إذا رضيت .



فرد التاجر أبو شروب : ابشر .. أنا في طاعتك ، فالشكر للجميع ، لسيدنا الوالي ولك ، وأنا قبلت ضيافتك أيها الشاب الفطن ؛ولكني مسافر اليوم فأنا بانتظارك في الفندق فهات هديتك التي تريد توصيلها لتلك المدينة .. وأنتم تستحقون مني أحسن الهدايا .

فقال الوالي : أشكرك .. هذا واجبنا أيها الرجل فنحن لا نتقاضى على عملنا هدايا فهديتنا هي أن نصل لمن تسول له نفسه الفساد في بلدنا .

وقال أسد الدين : نعم ، أيها الفاضل نحن لا نقبل هدايا من نرفع عنهم ظلما فهديتنا هي بقاء العدل والأمان في ديارنا .

ترك أسود مدينة السلام مع العصر متجها لمدينته التي تركها منذ ما يقارب عشرين سنة وبرفقته غلامه وبعض الأحمال ، فلما دخلها سأل عن منزل أخيه أسعد متأملا رؤية أمه ، فخرجت له فتاة جميلة مرحبة به فأخبرها أنه بحاجة لأبي سالم فقالت : أبي غير موجود .. فإن زوجي سالم موجود .

فجاء سالم ولما رأى السائل هتف بدهشة : عماه .. عماه .. يا إلهي ! .. أما زلت على قيد الحياة ؟! لقد أخبرنا بعضهم بموتك .. يا مرحبا يا مرحبا وتعانق الرجلان وكانت الفتاة مندهشة فقال سالم بانفعال كبير: ريم هذا أبوك ! .. هذه ابنتك يا عمي .

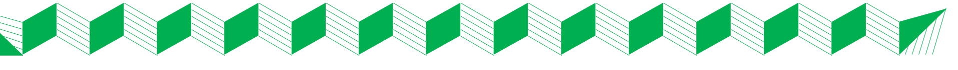
ترك أسود سالما واحتضن ابنته الصغيرة التي تركها وهي ابنة سنتان ربما أقل ، وعلى صوتهم خرجت أم سالم ، وقد تفاجأت بما علمت وشاهدت ، فحمدت الله على سلامته وعودته ، وأرسل سالم ولده ليخبر جده بعودة أخيه أسود الغائب ، فجاء يركض ركضا لا يكاد يصدق ما يسمع من حفيده ، ولما اجتمع الأحبة قال أسعد : ماتت أمك يا أخي ، وهي تدعو لك بالتوفيق والنجاح...

فقال أسود : لقد استجاب ربي لها رحمها الله..وأسرتي ما أخبارها ؟

فقال أسعد : أم جواد أصابها فالج منذ سنوات وقد قضت نحبها من قريب فإلى رحمة الله ، وأما جواد فقد تزوج وهجر البلد منذ قريب بعد وفاة أمه ، وأما ابنك سواد فقد تزوج من فتاة من مدينة السلام ورحل إليها منذ تزوج ، وأصبح من رجال الشرطة رجال الوالي ، وهو موفق في عمله ومحبوب من الأمير والوالي .



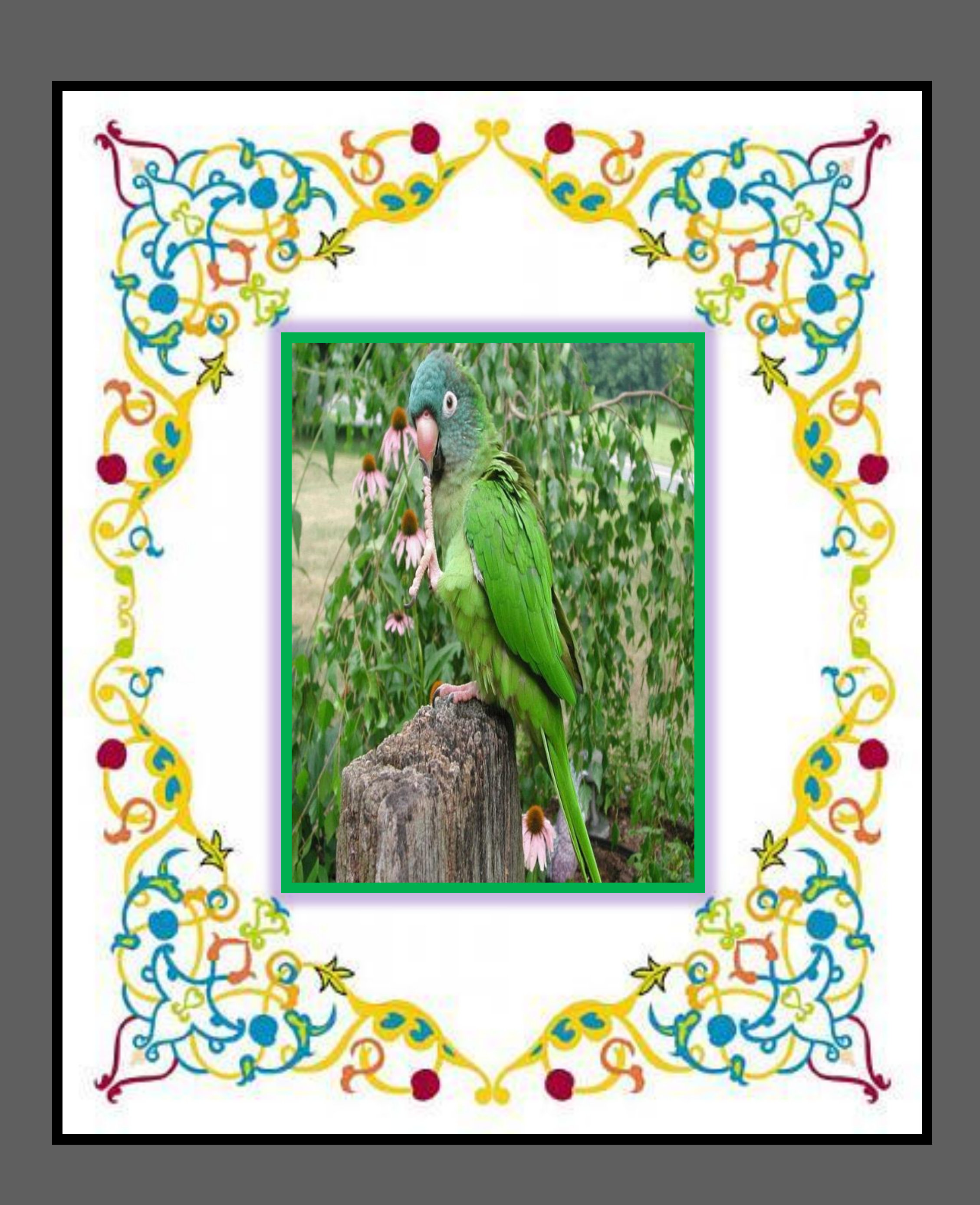
قال أسود : لقد التقيت بالوالي وشاب ذكي يعمل بحضرته ، كلما أنظر إليه يخفق قلبي له .. اسمه أسد الدين ؟



صاح سالم : نعم هذا اسمه هناك !!

فقص عليهم أسود قصته في مدينة السلام ثم قال : والحق أنني دهشت عندما دفع لي هدايا لكم ؛ ولكنني كنت في عجلة من أمري .. أمر الرحيل.. وظننته صديقا لكم مع أنه ذكر لي مرة أن له أقاربا في هذه المدينة .. ولكنني لم أدقق في الأمر لإنشغال الذهن والبال .. وهو لو ذكر شيئا عن أسرتي لعرفته .. على كل الحمد لله الذي تتم بنعمته الصالحات .






غسان والمدينة
مكر نديم
أحلام الأولاد
أسعد وأسود
ثلاثة أبناء
ربيعة والسلطان
نبوءة سيف
عقيل والصياد
الصياد البحري هارون